Interpreting the Last Part of Verse 18 of Surah Al-Kahf Using 21st-Century Psychological Concepts

https://doi.org/10.5281/zenodo.20976941

Bashir Maamria
maamriabashir2018@gmail.com
Mohamed Lamine Debaghine University, Setif, Algeria
Received: 17/02/2026 Accepted: 06/05/2026 Published: 30/06/2026

Abstract

The current study aimed to identify the interpretation of the last part of verse (18) of Surat Al-Kahf, as it was interpreted by the medieval interpreters, and as it was interpreted by the concepts of psychology in the twenty-first century. The researcher used the qualitative approach to trace the interpretation of the verse, and to discuss it in accordance with the scientific precedence in modern sciences, and the content of the Qur'anic verse. God Almighty says: "If you had looked at them, you would have turned away from them in flight and would have been filled with terror of them". Surah Al-Kahf, verse (18), states that there is: knowledge, there is flight, and there is terror. This relates to three main components of the human psyche: knowledge, inclination/will, and conscience. That is, "If you had looked upon them" (knowledge), "you would have turned away from them in flight" (inclination/will), "and you would have been filled with terror of them" (conscience). The study concluded that terror is more intense than fear, as it profoundly affects both mind and body. It may originate from external sources, settle in the heart, or completely overwhelm the individual, weakening their awareness, self-control, and ability to act or respond effectively.

Keywords: interpretation, verse, Al-Kahf, psychological concepts, 21st century

تفسير الجزء الأخير من الآية رقم 18 من سورة الكهف بمفاهيم علم النفس في القرن الحادي والعشرين

البشير معمرية
maamriabashir2018@gmail.com
جامعة محمد الأمين دباغين، سطيف، الجزائر
الاستلام: 2026/02/17 القبول: 2026/05/06 النشر: 2026/06/30

ملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على تفسير الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف، كما تم تفسيرها لدى المفسرين في القرون الوسطى، وكما تم تفسيرها بمفاهيم علم النفس في القرن الحادي والعشرين. واستخدم الباحث المنهج النوعي (الكيفي) لتتبع تفسير الآية، ومناقشة ذلك وفق السبق العلمي في العلوم الحديثة، ومضمون الآية القرآنية، يقول الله تعالى: "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا". سورة الكهف، الآية (18) أي هناك: اطلاع، وهناك فرار، وهناك رعب، ـ وتتعلق بثلاثة مكونات رئيسة للنفس البشرية، وهي: المعرفة، والنزوع/ الإرادة، والوجدان، أي "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ" (معرفة)، "لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا" (نزوع/ إرادة)، "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا" (وجدان). وخلصت الدراسة إلى أن الرعب أشد من الخوف، إذ يؤثر تأثيرًا عميقًا على العقل والجسد. وقد ينشأ من الخارج، أو يستقر في القلب، أو يستحوذ على الفرد بأكمله، فيضعف وعيه وضبطه لنفسه وقدرته على التصرف أو الاستجابة بفعالية.

الكلمات المفتاحية: تفسير، الآية، الكهف، مفاهيم علم النفس، القرن الحادي والعشرين

مقدمة

يعد القرآن خطاب الله الأخير إلى الإنسان، وهو خطاب ميسّر لكل من قرأه وتدبّره، يقول الله تعالى: "وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ"، سورة القمر، الآية (17). إن إعجاز القرآن الكريم، يقوم على تدبره وفهمه، وليس على غموضه والجهل به (العراقي، 1990، ص 151). يقول الله تعالى: "كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ"، سورة ص، الآية (29) ويقول الله تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ"، سورة محمد، الآية (29). فقد جاء القرآن شاملا لكل شيء، فما من شيء تعلق بتعاليم الدين، أو تعلق بشؤون الدنيا، أو بأحوال الآخرة إلا ودل عليه القرآن. يقول الله تعالى: "مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ"، سورة الأنعام، الآية (38)، ويقول الله تعالى: "وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ"، سورة الأنعام، الآية (59).

ووفقا للتقويم الميلادي، يقول المباركفوري (1976)، إنه وبعد النظر، والتأمل في القرائن والدلائل، يمكن أن نحدد يوم نزول الوحي بأنه يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً، ويوافق 10 أغسطس سنة 610 م، وكان عمره– صلى الله عليه وسلم –حينئذ بالضبط أربعين سنة قمرية، وستة أشهر و12 يومًا، وذلك نحو 39 سنة شمسية، وثلاثة أشهر و12 يوما (ص. 56). إن نزول القرآن، وبالتالي بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبداية دين الله الإسلام، كان في بداية القرن السابع الميلادي. وتم نزول القرآن في شهر رمضان، لقول الله تعالى: "شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ"، سورة البقرة، الآية (185). ونزل القرآن في ليلة القدر، يقول الله تعالى: "إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ"، سورة القدر الآية (1). ونزل في ليلة مباركة، يقول الله تعالى: "إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ". سورة الدخان، الآية (3).

وجرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل، وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبيًا بلسان قومه، وأن يكون كتابه بلسانهم، يقول الله تعالى: "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ"، سورة إبراهيم، الآية (4). ورغم أن القرآن نزل بلغة العرب الذي بُعِث فيهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في مكة المكرمة، وما حولها، يقول الله تعالى: "وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ"، سورة الأنعام، الآية (92). وبالتالي فهم يفهمونه وفقًا لسليقتهم العربية، إلا أن تفسير كلماته، وآياته، وشرح معانيها، ومقاصدها كان ساريًا أيضًا بين المسلمين، فقد كانوا يتفاوتون في التدبر، والفهم، أو يلجؤون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليبينه لهم، ويفسر لهم ما غمض عليهم منه، وتوالت جهود تفسير القرآن الكريم عبر العصور والأزمنة، إلى يومنا هذا.

مشكلة الدراسة

من أجل إبراز مضمون تفسير الجزء الأخير من الآية رقم (18) من سورة الكهف بمفاهيم علم النفس، وتبريره كمشكلة بحثيّة، قام الباحث باستعراض عدد من تفاسير القرآن الكريم القديمة والحديثة التي فسّرت هذه الآية، فلم يجد من بينها ولو تفسيراً واحداً تطرق إلى إسهام مفاهيم علم النفس في تفسيرها، فكان ذلك بمثابة مشكلة في حاجة إلى حل، من خلال طرح السؤال الآتي: ما المفاهيم في علم النفس الحديث التي يتضمنها الجزء الأخير من الآية رقم (18) من سورة الكهف؟

من هنا تتبلور مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات الآتية:

1) ما تفسير المفسرين للجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؟
2) ما موضوع علم النفس العلمي عند ظهوره في أواخر القرن التاسع عشر؟
3) ما تفسير علم النفس للجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؟
4) ما مفهوم الرعب في الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؟

كما برزت أسئلة أخرى أجابت عنها الدراسة في مكانها، وهي كما يأتي:

1. هل القرآن جميعه لغة العرب؟
2. هل هناك آيات التحدي التي تبين منها أن القرآن ليس كله لغة العرب في ذلك الزمان؟
3. وإذا كان القرآن الكريم ليس كله لغة العرب، فما العناصر التي هي عربية وما العناصر الأخرى التي ليست من لغة العرب؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على:

1) تفسير المفسرين للجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف.
2) إبراز موضوع علم النفس العلمي عند ظهوره في أواخر القرن التاسع عشر.
3) تبيان مفاهيم علم النفس الحديث المتضمنة في الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف.
4) توضيح مفهوم الرعب في الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية أي دراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله بالبحث والدراسة، مما ينطوي على ذلك من أهمية نظرية وتطبيقية (عملية)، وعلى النحو الآتي:

الأهمية النظرية

- تبرز أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها وهو تدبر آيات القرآن الكريم لاكتشاف ما فيها من إشارات نفسية كما تناولها علم النفس بمفاهيمه الحديثة التي أنتجها العقل البشري،
- كما تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال النتائج التي تتوصل إليها في موضوعها.
- كما تبرز أهمية هذه الدراسة لكونها الأولى في موضوعها، في حدود علم الباحث، على أن تليها دراسات أخرى في الموضوع، من أجل إثراء البحث القرآني والنفسي باللغة العربية.

الأهمية التطبيقية

- لفت انتباه الباحثين في علوم القرآن والباحثين في علم النفس، على السواء، إلى مواصلة البحث في الميدانين من أجل إثراء البحث في القرآن الكريم وفي علم النفس، في الوقت نفسه.
- لفت انتباه المسؤولين على مناهج التعليم إلى إدراج هذه الموضوعات في مناهج التعليم، وخاصة الثانوي والجامعي.
- دعوة الباحثين في علوم القرآن إلى استعمال مفاهيم علم النفس لتفسير آيات القرآن الكريم.

حدود الدراسة

تتحدد الدراسة الحالية من خلال موضوعها الرئيسي وهو تفسير الجزء الأخير من الآية رقم (18) من سورة الكهف بمفاهيم علم النفس، وتتحدد الدراسة كذلك من خلال أسئلتها التي تسعى إلى الإجابة عنها، وأهدافها التي تسعى إلى تحقيقها. كما تتحدد من خلال تبيان ما في القرآن من لغة العرب وما فيه ليس من لغة العرب، وتتحدد كذلك من خلال مفاهيم علم النفس التي تم تفسير الآية المذكورة بها، وتتحدد كذلك بتفسير مفهوم الرعب كما ورد في الآية.

مصطلحات الدراسة

تفسير: ويعني إعطاء معاني ودلالات أكثر وضوحا وفهما، لألفاظ وكلمات غامضة أو صعبة على الفهم. أو تأويلها إلى معاني أخرى من خلال استخدامها نظريا، أو من خلال استخدامها عمليا، باستعمال العلم. كما هو الحال هنا، حيث تم تفسير كلمات في آية قرآنية بمفاهيم في علم النفس.

الآية: من معاني ودلالات اسم "آية" في اللغة العربية هناك:

آية: وتعني العلامة والأمارة، أي الدليل، كقوله تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (فصلت: الآية (53)().

آية: وتعني المعجزة والبرهان، قال تعالى (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) (المؤمنون: الآية (50)().

آية: وتعني العبرة، قال تعالى (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) (يونس: الآية (92)().

آية: وتعني الجملة والعبارة، وهي وحدة قرآنية منفصلة عمّا قبلها وبعدها بعلامة وتبين عدد آيات القرآن. قال تعالى (وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) (النحل: الآية (101)().

وقد تعني، كذلك، العلامة الخارقة للإنسان، الرسالة، والموعظة.

أما في القرآن الكريم: فهي بمعنى الجمل والفقرات التي وردت في القرآن، ويفضل للقارئ التوقف في نهاياتها. وهي الآية القرآنية التي تنتهي بنقطة وقف. ومجموع الآيات يؤلف سورة. وردت الآية في القرآن مفردة وجمعا في عدة سور، كقول الله تعالى: {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} (من سورة الأعراف: الآية 73). وقول الله تعالى، كذلك {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} (من سورة البقرة الآية 252) (مسلم، 2006).

مفاهيم علم النفس: يتم التعرف على المفهوم، من خلال الاستدلال، عندما نلاحظ في الواقع الحسي حدثا أو مجموعة من الأحداث أو التصرفات تحدث مرتبطة ببعضها فيعطى لها اسم أو رمز الذي هو المفهوم. ويعرّف جون ديسيكو (Dececco, 1968)، المفهوم، بأنه: "نوع من المثيرات التي يمكن أن تكون مجموعة أشياء، أو حوادث، أو أشخاص تشترك معا في خصائص عامة، ويشار إليها باسم خاص". (سعادة، اليوسف، 1988، ص. 59). وقد وردت في هذه الدراسة مفاهيم علم النفس الآتية: المعرفة، النزوع/ الإرادة، الواجدان.

القرن الحادي والعشرين: هو المدة الزمنية بالسنوات التي تمتد من سنة 2001 إلى نهاية القرن وهي سنة 2100.

الرعب: وهو الفزع الشديد الذي يقع بالفعل، خلافا للخوف الذي لم يقع بعد وبما أن الآية عبّرت عنه بصيغة الامتلاء "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا"، فإن الرعب هنا يعني: تلك الصدمة النفسية الشديدة من هول ما يراه من حالة فتيان الكهف.

وفي الحديث النبوي الشريف: "نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، كان الله قد أوقع في قلوب أعداء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الفزع الشديد منه ومن جيوشه ومقاتليه، حتى ولو كان بينه وبينهم مسيرة شهر، هابوه وفزعوا منه". (قاموس المعاني، د. ت.).

منهجية الدراسة

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي. ويقدم المشوخي (2002) تعريفاً شاملاً للمنهج الوصفي التحليلي، فيقول: "يعتمد المنهج الوصفي التحليلي على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها كماً أو كيفاً؛ فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميّاً، يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى" (سعد، 2021).

واستعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي في صورته الكيفية (النوعية) حيث قام بتحديد موضوع الدراسة وهو تفسير الآية رقم (18) من سورة الكهف بمفاهيم علم النفس في القرن الحادي والعشرين، وإثر ذلك قام باستعراض عدد من تفاسير القرآن الكريم القديمة والحديثة لتفسير هذه الآية، فلم يجد من بينها من تطرق إلى إسهام مفاهيم علم النفس في تفسير هذه الآية، فتولى تقديم التفسير المطلوب لهذه الآية الكريمة بمفاهيم علم النفس الحديث، بعد استعراض هذه المفاهيم كما صاغها مؤسس علم النفس العلمي فلهلم فندت Wilhelm Wundt.

خلفية نظرية

نزول القرآن بلغة العرب

ظهر محمد صلى الله عليه وسلم، نبيًا ورسولًا، في منطقة تسمى اليوم جغرافيا شبه الجزيرة العربية، (أو المملكة العربية السعودية)، وهي في جنوب غرب آسيا، وظهرت النبوة، في أول عهدها، بمدينة مكة المكرمة، ثم انتقلت إلى يثرب في ذلك الزمن (المدينة المنورة حاليًا)، المتواجدتين في منطقة تسمى الحجاز، وأنزل الله عليه القرآن بلسان قومه (اللسان العربي).

ورد في القرآن الكريم أنه نزل قرآنًا عربيًا في تسع آيات، وهي كما يأتي:

1. يقول الله تعالى: "إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ" الآية (2) من سورة يوسف (سورة مكية).
2. يقول الله تعالى: "وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ"، الآية (103) من سورة النحل، (سورة مكية).
3. ويقول الله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا"، الآية (113) من سورة طه، (سورة مكية).
4. ويقول الله تعالى: "نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ (195)"، الآيات السابقة من سورة الشعراء، (سورة مكية).
5- ويقول الله تعالى: "قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ"، الآية (28) من سورة الزمر، (سورة مكية).
6- ويقول الله تعالى: "كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ"، الآية (3) من سورة فصلت، (سورة مكية).
7- ويقول الله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا"، الآية (7) من سورة الشورى، (سورة مكية).
8- ويقول الله تعالى: "إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ"، الآية (3) من سورة الزخرف، (سورة مكية).
9- ويقول الله تعالى: "وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ"، الآية (12) من سورة الأحقاف، (سورة مكية).

نلاحظ أن السور التي ذُكر فيها قرآنًا عربيًا، نزلت كلها في مكة، أي المكان الذي بدأت الدعوة إلى دين الإسلام.

القرآن ليس جميعه لغة العرب

ولكن، هل القرآن الكريم جميعه لغة العرب؟ رغم أن القرآن الكريم ذكر أنه نزل بلغة العرب، كما تبين من الآيات التسعة، سابقة الذكر، إلا أن القرآن تبين للعرب الذين نزل بينهم أنفسهم أنه يعلو على سائر كلامهم بأساليبه اللغوية، والبلاغية، والبيانية، والقصصية، والغيبية، وأعجزهم أن يأتوا بمثله، رغم محاولات بعضهم، مثل مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الأسدي، إضافة إلى قوة معانيه، ودقتها، وأحكامه، وقصصه، ومقاصده الشرعية، وتحداهم في بعض الآيات أن يأتوا بمثله، ولن يستطيعوا ذلك حتى ولو تعاونوا مع بعضهم، أو ساندهم الجن في ذلك.

وهناك الكثير من المفاهيم والأحداث وردت في القرآن الكريم، لم يكن العرب، قبل أن يأتي بها الإسلام، يعرفونها أو يتحدثون عنها، أو يؤمنون بها؛ مثل: الله واحد، تقوى الله، البعث واليوم الآخرة، الحساب والعقاب في الآخرة، الجنة والنار، قصص الانبياء، أسماء الملائكة، الشرائع، الصلاة، الزكاة، الصوم، والأخلاق، والجهاد في سبيل الله وغيرها.

إضافة إلى ذلك هناك آيات في القرآن الكريم تحدت العرب الكفار، في زمن ظهور الإسلام، أن يأتوا بمثلها. ولن يأتوا بمثلها أبدا، وهذا الكلام فصل قاطع لكون القرآن كله لغة العرب. وفيما يأتي آيات التحدّي.

آيات التحدي

هناك خمس آيات في القرآن الكريم تحدت العرب المشركين الذين يقولون بأن القرآن ليس من عند الله، وأنه من عند محمد قام بافترائه، وأنهم يستطيعون أن يأتوا بمثله، إن أرادوا ذلك، فقال الله تعالى متحديًا لهم بالآيات الآتي ذكرها، إنهم لن يأتوا بهذا القرآن، أبداً، بأي طريقة من الطرق، حتى ولو جمعوا كل قوتهم، ودعوا من استطاعوا من الإنس: والجن ليساندوهم:

1. يقول الله تعالى: "قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"، سورة الإسراء الآية (88) (سورة مكية).
2. ويقول الله تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"، سورة يونس، الآية (38) (سورة مكية).
3. ويقول الله تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ"، سورة هود، الآية (13) (سورة مكية).
4. ويقول الله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"، سورة البقرة، الآية (23) (سورة مدنية).
5. ويقول الله تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (33(فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ (34)"، سورة الطور (سورة مكية).

يتبين أن أربع سور مما سبق من آيات التحدي نزلت بمكة، وآية واحدة نزلت بالمدينة.

العناصر في القرآن الكريم التي يتسمّى بها قرآنا عربيا

تبين الآيات الخمسة السابقة التي تحدت العرب المشركين صراحةً، وبوضوح أن القرآن ليس كله لغة عربية، إذاً ما الجوانب التي تعتبر في القرآن الكريم لغة عربية؟ هناك عنصران فقط، من القرآن يتسمى بهما قرآنًا عربيًا، هما: (1) الكلمات و(2) الحروف التي كتبت بها تلك الكلمات، ما عدا ذلك فكله لله وليس للعرب فيه شيء. وبعد أن تم توضيح مسألة أن القرآن ليس فيه من لغة العرب عندما نزل إلا الكلمات، والحروف التي تكتب بها، أنتقل الآن إلى الكتابة عن الموضوع الرئيس للدراسة الحالية، وهو التفسير، متى بدأ؟ وما هي المراحل التي مر بها؟ وما هي مصادر التفسير؟

بداية تفسير آيات القرآن الكريم

كان القوم الذين ظهر فيهم محمد صلى الله عليه وسلم، رسولاً ونبيًا، عربًا خلصًا، يفهمون القرآن الكريم بحكم السليقة العربية، واللسان العربي، لكنهم كانوا يتفاوتون في إدراكه، وفهمه، فكل واحد منهم كان يدرك منه ما يوقفه على إعجازه، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى، فإن أشكل عليهم لفظ، أو غمض عليهم معنى ولم يجدوا من يفسره لهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيبينه لهم. وبهذا نشأ علم التفسير (الرومي، 1419، ص. 14). إذاً، خضع القرآن الكريم لمحاولات تفسير كلماته، وآياته، منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم، إلى يومنا هذا، ولا زال كذلك. ومر بمراحل، أبرزها ما يأتي:

مراحل تفسير آيات القرآن الكريم

المرحلة الأولى: التفسير في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ"، سورة الحجر، الآية (9). كما تكفل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع له القرآن في صدره: "لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (17)"، سورة القيامة. ثم كلّف الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يبين لقومه القرآن، وأن يفسره لهم، قال الله تعالى مخاطبًا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: "وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"، سورة النحل، الآية (44) (الرومي، 1419، ص. 15).

كان الصحابة رضوان الله عليهم، عندما يستعصي عليهم فهم معاني، ودلالات الآيات، أو الكلمات من القرآن، يتوجهون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبين لهم ما استعصى عليهم فهمه، وما غمض عليهم إدراكه (الفلكي، 2007، ص. 6). يقول الله تعالى: "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"، سورة إبراهيم، الآية (4).

المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم

بما أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عربًا في أصولهم، كانوا يفهمون القرآن، ويدركون معانيه، وأهدافه بحكم سليقتهم العربية فهمًا لا تعكره عجمة، ولا يشوهه شيء من قبح الابتداع، وتحكم العقيدة الزائفة (الرومي، 1419، ص. 19).

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة، وهم: الخلفاء الراشدون الأربعة؛ (1) أبو بكر الصديق، (2) عمر بن الخطاب، (3) عثمان بن عفان، (4) علي بن أبي طالب، إضافة إلى (5) عبد الله بن مسعود، (6) عبد الله بن عباس، (7) أبي بن كعب، (8) وزيد بن ثابت، (9) أبو موسى الأشعري، (10) وعبد الله بن الزبير (السيوطي، د. ت، ص. 204).

وأجدر هؤلاء العشرة جميعًا بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس، الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم، ودعا له بقوله: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل" (الزركشي، 1990، ص 302)، وسماه ترجمان القرآن (السيوطي، د. ت، ص. 205).

المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم

وتلقى أفراد من التابعين في أماكن وبلدان إسلامية عديدة تفسير الصحابة، وأقوالهم في آيات القرآن الكريم، فنشأت في مكة جماعة للمفسرين، وفي المدينة المنورة نشأت جماعة أخرى، وفي العراق نشأت جماعة ثالثة. وقال الشيخ ابن تيمية: "أعلم الناس بالتفسير جماعة مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، وكذلك في الكوفة لأنهم أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير". ثم أخذ تابعو التابعين ما وصل إليهم، وصنفوا التفاسير، فكان ذلك إرهاصًا لابن جرير الطبري، الذي يوشك المفسرون، من بعده، أن يكونوا جميعًا عالة عليه (الصالح، 1981، ص. 290).

واتجه العلماء، بعد ذلك، في تفاسيرهم اتجاهات شتى، فظهر ما أطلق عليه "التفسير بالمأثور"، وهو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة، والتابعين، وتابعيهم. وأجل التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبري، ويسمى: "جامع البيان في تفسير القرآن". وظهر، كذلك، ما أطلق عليه "التفسير بالرأي"، الذي تعددت فيه المناهج، وتضاربت الأفكار، واختلف العلماء حوله؛ فمن محرم له ومن مجيز (الصالح، 1981، صص. 290 -291).

مصادر تفسير آيات القرآن الكريم

المصدر الأول: تفسير آيات القرآن الكريم من وجهة نظر الدين

كانت السمة الرئيسية التي اتصفت بها التفاسير في ذلك الزمن، هي أن الذين تولوا عملية تفسير القرآن، كانوا من علماء الدين، لأن الإسلام دين، في جوهره، أو هكذا تم فهمه، في ذلك الزمان، فكان هؤلاء العلماء يقومون باستخراج، من آيات القرآن أو يستنبطون منها، أو يستقرؤون، كذلك، ما يتعلق بالعقيدة، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وما يتعلق بالعبادات، وبالشريعة، في مجال المعاملات، والأخلاق، والعلاقات بين الناس كعلاقات الأزواج، وعلاقة الأبناء بالآباء، وعلاقة الجار بجاره، والمواريث، وغيرها.

المصدر الثاني: تفسير آيات القرآن الكريم من وجهة نظر العلم

لم يكن في العصور الوسطى التي تم تفسير القرآن فيها بالدين أي اهتمام، أو تدبر لآيات القرآن الكريم، فيما يتعلق بالتفسير العلمي، وأقصد بالتفسير العلمي لآيات القرآن الكريم وكلماته، اتفاق ما توصل إليه العلم من خلال جهود العقول البشرية، في علوم مختلفة، مع ما جاء في القرآن، وهذا بسبب عدم ظهور علوم بشرية تجريبية، ومتخصصة في مجالات مختلفة، كما هو اليوم في الجامعات ومخابرها العلمية؛ ولكن بعد ظهور نتائج البحوث العلمية في تخصصات مختلفة، استطاعت العقول أن تكتشف وجود تطابق بين ما اكتشفه العلم و ما جاء في القرآن الكريم.

وفي التفسير العلمي للقرآن، لا يرجع المفسر إلى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إلى أقوال الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وغيرهم من المفسرين، الذين ظهروا بعد ذلك، بل يرجع إلى النتائج العلمية التي تم التحقق منها، بالمنهج العلمي، وتتفق مع الحقائق المشاهدة في الواقع، سواء بطريقة مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة، وصارت محل قبول وثقة، ثم البحث في تطابقها مع ما جاء في آيات القرآن الكريم، وهذا ما قمت به عند تفسير الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؛ حيث قابلت بين نص الآية القرآنية، ونتائج بحوث علم النفس التي تم التحقق منها، وصارت من حقائق علم النفس، كما سيرد ذلك في الفقرات القادمة للدراسة الحالية.

وظهر هذا النوع من التفسير، واتسع القول فيه على أساس احتواء القرآن الكريم على كل العلوم، ما كان منها وما يكون، فالقرآن الكريم في نظر أصحاب هذا الاتجاه، يشمل، إلى جانب العلوم الدينية، والاعتقادية، سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها، وتعدد ألوانها، ويعتبر أبو حامد الغزالي (450 - 505 ه)، (1058 - 1111م) أكثر من تحدث في هذا الاتجاه، وأهم من أيده، وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية (الذهبي، د. ت، ص. 349).

وذكر أبو حامد الغزالي في كتابه (جواهر القرآن)، كيف تشعبت سائر العلوم من القرآن، فذكر علم الطب والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه، وغير ذلك. ويقول: "ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا شك فيها أن في الإمكان والقوة وجود أصناف من العلوم لم تخرج بعد من الوجود، وإن كان في قوة الآدمي الوصول إليها، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود وهي تدرس الآن".

ويقول أيضا: "ثم هذه العلوم ما عددناه وما لم نعدده (...) فإن جميعها مغترفة من بحر واحد، من بحار معرفة الله، وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد" (الذهبي، د. ت، ص. 350).

وينحو جلال الدين السيوطي منحى أبي حامد الغزالي في القول بالتفسير العلمي للقرآن، فيسوق في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، وفي كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل) آيات من القرآن، وأحاديث نبوية، يستدل بها على أن القرآن مشتمل على كل العلوم (الذهبي، د. ت، ص. 351).

ثم ظهرت بعد ذلك كتب، ومؤلفات ذات الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، ومنها كتاب (كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات، والجواهر المعدنية) للإمام الفاضل، والطبيب البارع، محمد بن أحمد الاسكندراني، من علماء القرن الثالث عشر الهجري، يقع الكتاب في ثلاثة مجلدات، ونشر بمصر سنة 1297 هجرية (الذهبي، د. ت، ص. 365).

العلم يكتشف ويشرح ويقدم إعجاز القرآن

فالله خالق كل شيء، أما العلم الذي تمارسه عقول البشر، فيقوم باكتشاف ما خلقه الله، ويشرحه ويوضحه للناس، وكل علم يكتشف في القرآن ما يتعلق بتخصصه، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم يعني وجود حقائق علمية أشار إليها القرآن الكريم، وثبتت صحتها بالعلم الحديث، مع العلم أن هذه الحقائق لم تكن معروفة للبشر في زمن نزول القرآن. فالإعجاز العلمي هو إبراز الحقائق الكونية التي ذكرها القرآن ووافقها العلم الحديث، مما يدل على أن القرآن كلام الله. وببساطة، فإن الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن بحقائق علمية: يتضمن القرآن الكريم إشارات إلى حقائق علمية في مختلف المجالات كالفلك، والطب، والأحياء وغيرها.

سبق القرآن للعلم الحديث

هذه الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معروفة في زمن نزول الوحي، واكتشفها العلم الحديث بعد ذلك بقرون. ويتوفر القرآن الكريم على آيات كثيرة تتحدث عن ظواهر وحقائق أفطرها الله في الأرض وفي السماء، وفي الإنسان، وفي الحيوان وفي النبات، وعن دور الماء في الحياة، وعن دور الليل، والنهار في سلوك الإنسان وتصرفاته، وفي كل شيء خلقه الله. وتعددت أنواع الإعجاز القرآني لتشمل العديد من المواضيع فمنها:

الإعجاز البياني

وهو قدرة القرآن الكريم على إيصال المعاني، والرسائل المختلفة بوضوح، وبلاغة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

الإعجاز التشريعي

هو سمو ودقة التشريعات، والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم، وتميزها عما دونها من التشريعات بطريقة يستحيل على البشر الإتيان بها.

الإعجاز الغيبي

ويقصد به إشارة القرآن الكريم لأمور غيبية لها علاقة بالماضي، أو الحاضر، أو المستقبل يستحيل على البشر العلم بها أو التنبؤ بها.

الإعجاز العلمي

هو إخبار القرآن الكريم بالحقائق العلمية المختلفة كعلوم الفضاء، والبحار، والجبال وغيرها التي لم يكن ممكنا إدراكها في زمن نزول القرآن، ولم يتم إثباتها إلا بالعلم الحديث. وسأذكر فيما يأتي بعض الآيات المعجزة علميًا، كأمثلة على ما سبق:

ويقول الله تعالى: "وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ "، سورة البقرة، الآية (233).

ويقول الله تعالى: "وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ"، سورة البقرة، الآية (216).

ويقول الله تعالى: "فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ"، سورة الأنعام، الآية (125). ويقول الله تعالى: "وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۡۚ"، سورة الأنعام، الآية (38). ويقول الله تعالى: "أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ"، سورة الرعد: الآية (41). ويقول الله تعالى: "وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ (14) فَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ" (15)، سورة الحجر. ويقول الله تعالى: "وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97(فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (98)"، سورة الحجر. ويقول الله تعالى: "وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ"، سورة الحجر، الآية (22). ويقول الله تعالى: "وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ"، سورة النحل، الآية (78). ويقول الله تعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ"، سورة الأنبياء، الآية (33). ويقول الله تعالى: "أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ"، سورة الأنبياء، الآية (30). ويقول الله تعالى: "وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ"، سورة الأنبياء، الآية (30). ويقول الله تعالى: "وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ"، سورة الأنبياء، الآية (31). ويقول الله تعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ"، سورة الأنبياء، الآية (33). ويقول الله تعالى: "أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ"، سورة النور، الآية (40). ويقول الله تعالى: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ"، سورة النور، الآية (43). ويقول الله تعالى: "يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ"، سورة النور، الآية (44). ويقول الله تعالى: "وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ "، سورة النور، الآية (45). ويقول الله تعالى: "أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا * ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا"، سورة الفرقان، الآية (45 -46). ويقول الله تعالى: "وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ"، سورة النمل، الآية (88). ويقول الله تعالى: "وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ"، سورة النمل، الآية (93). ويقول الله تعالى "قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ 71)) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (72)"، سورة القصص. ويقول الله تعالى: "سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ (36) وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ (37) وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ 38)) وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ (39) لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ (40)"، سورة يس. يقول الله تعالى: "سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ"، سورة فصلت، الآية (53). ويقول الله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ"، سورة الحجرات، الآية (13). ويقول الله تعالى: "وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ"، سورة الذاريات، الآية (20). ويقول الله تعالى: "مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ (19) بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ (20)"، سورة الرحمن. ويقول الله تعالى: "ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا"، سورة الطلاق، الآية (12). ويقول الله تعالى: "إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا"، سورة الإنسان، الآية (2). ويقول الله تعالى: "أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا (6(وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا (7)"، سورة النبأ. ويقول الله تعالى: "فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ (15) ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ (16) وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ (17) وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18)"، سورة التكوير.

هذه مجموعة من الآيات التي جاء بها القرآن الكريم، ويتطلب تفسيرها تدخل العلم البشري في تخصصاته المختلفة، وهناك الكثير مما اكتشفه العلماء في الآيات القرآنية، ولا تتوقف هذه الاكتشافات إلى يوم الدين.

عرض النتائج ومناقشتها

عرض نتيجة السؤال الأول ومناقشتها

نص السؤال الأول على: "ما تفسير المفسرين للجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؟"

تفسير الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف في تفاسير القرآن الكريم الآتية

قبل أن يتولى كاتب الدراسة الحالية، وهو متخصص في علم النفس، منذ 52 سنة، في الجزائر، تفسير الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف، وهي قول الله تعالى: "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا". يستعرض تفسير هذه الآية من قبل بعض المفسرين قديما وحديثا.

تفسير الطبري (224 - 310هـ) (839 - 923م). يقول الله تعالى: "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا". يقول: لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم، لأدبرت عنهم هاربًا منهم فارًّا، "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا". يقول: ولملئت نفسُك من اطلاعك عليهم فزعًا، لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: وَلُمِلِئْتَ مِنْهُمْ رُعباً فقرأته عامة قرّاء المدينة بتشديد اللام من قوله: «ولُمِلِّئْتَ» بمعنى أنه كان يمتلىءَ مرّة بعد مرّة. وقرأ ذلك عامة قراء العراق: وَلُمِلِئْتَ بالتخفيف، بمعنى: لملئت مرّة، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب (الطبري، 2016).

تفسير القرطبي (توفي عام 671هـ) (1214 - 1273م). يقول الله تعالى "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ"، قرأ الجمهور بكسر الواو، والأعمش ويحي بن وثاب بضمها. "لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا" أي لو أشرفت عليهم لهربت منهم. "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا" أي لما حفاهم الله تعالى من الرعب واكتنفهم من الهيبة، وقيل: لوحشة مكانهم، وكأنهم آواهم الله إلى هذا المكان الموحش في الظاهر لينفر الناس عنهم، وقيل: كان الناس محجوبين عنهم بالرعب، لا يجسر أحد منهم على الدنو إليهم، وقيل: الفرار منهم لطول شعورهم واظفارهم، وذكره المهدوي، والنحاس، والزجاج، والقشيري (القرطبي، 1967، صص. 373 - 374).

تفسير ابن كثير (701 - 774 هـ) (1301 - 1374م). يقول الله تعالى: "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا". سورة الكهف، الآية (18)، أي أنه ألقى عليهم المهابة، بحيث لا يقع نظر أحدهم عليهم إلا هابهم، لما ألبسوا من المهابة والذعر، لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم، لما له في ذلك من الحكمة، والحجة البالغة، والرحمة الواسعة (ابن كثير، 1980، ص. 374).

جماعة من المفسرين. وفيما يأتي تفسير الآية الكريمة من مجموعة من المفسرين:

قال البغوي (433 ه - 516 ه): "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ" يا محمد "لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً"، لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد، حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا"، خوفا، قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها. واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل من وحشة المكان. وقال الكلبي (110 ه - 204 ه): لأن أعينهم كانت مفتحة، كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام. وقيل: لكثرة شعورهم، وطول أظفارهم، ولتقلبهم من غير حس، ولا إشعار. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد (البغوي، 1411ه، ص. 159) .

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال ابن عباس رضي الله عنه: لقد منع ذلك من هو خير منك، فقال: (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا) فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم .انتهى المراد من كلام البغوي (ص. 159).

وقال الألوسي (1876 - 1938/ 1948)، في روح المعاني: "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ"، لو عاينتهم وشاهدتهم، وأصل الاطلاع الوقوف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة، وقرأ ابن وثاب والعمش "لَوُ اطَّلَعْتَ" بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير، فإنها تُضَمّ إذا لقيها ساكن نحو رموا السهام، وروي ذلك عن شيبة وأبي جعفر.

"لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارا"، أي لأعرضت بوجهك عنهم واوليتهم كشحك، ونُصب فرارًا إما على المصدر لوليت إذ التولية، والفرار من واد واحد، فهو كجلست قعودا أو لفررت محذوفا، وإما على الحالية بتأويله باسم الفاعل، أو بجعله من باب فإنما هي إقبال وإدبار، وإنما على أنه مفعول لأجله أي لرجعت لأجل الفرار. "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا"، أي خوفا يملأ الصدر، ونُصب على أنه مفعول ثان، ويجوز أن يكون تمييزاً، وهو محولٌ عن الفاعل، وكأن الخوف يملأ مجاز في عظمه مشهور كما يقال في الحسن إنه يملأ العيون (الألوسي، 1994، ص. 216).

وقال محمد الطاهر بن عاشور (1879 -1973) في التحرير والتنوير"لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا". الخطاب لغير معين، ... والمعنى: لو اطلعت عليهم ولم تكن علمت بقصتهم لحسبتهم لصوصًا قطاعًا للطريق، إذ هم في كهف، وكانت الكهوف مخابئ لقطاع الطريق، لفررت منهم وملكك الرعب من شرهم، كقوله تعالى: "نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً". وليس المراد الرعب من ذواتهم؛ إذ ليس في ذواتهم ما يخالف خلق الناس، ولا الخوف من كونهم أمواتًا؛ إذ لم يكن الرعب من الأموات من خصال العرب. على أنه قد سبق "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ".

والاطلاع: الإشراف على الشيء ورؤيته من مكان مرتفع، لأنه افتعال من طَلع إذا ارتقى جبلاً، فصيغ الافتعال للمبالغة في الارتقاء، وضمن معنى الإشراف فعدي بـ (على)، ثم استعمل مجازا مشهورا في رؤيته الشيء الذي لا يراه أحد،

وانتُصِبَ "فِرَاراً" على المفعول المطلق المبين لنوع "وَلَّيْتَ". وَ"لَمُلِئْتَ" مبني للمجهول، أي ملأك الرعب وملّأ بتشديد اللام مضاعف ملأ وقُرئ بهما.

والملء: أي لم يبق هناك فراغ، فالحالة النفسية كلها ملئت. وانتصب "رُعْباً" على تمييز النسبة المحول عن الفاعل في المعنى لأن الرعب هو الذي يملأ، فلما بُني الفعل إلى المجهول لقصد الإحمال ثم التفصيل، صار ما حقه أن يكون فاعلا

تمييزا. وهو إسناد بديع حصل منه التفصيل بعد الإجمال. وليس تمييزا مُحوّلاً عن المفعول كما قد يلوح بادئ الرأي (ابن عاشور، 1984، صص. 281 - 283).

وقام السعدي (1889 - 1957)، في تفسيره المسمّى: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بذكر نص الآية، ولكنه لم يفسرها أو يؤولها (السعدي، 2002، ص. 472).

القرآن وعلم النفس (1985). قام الباحث بقراءة كتاب: القرآن وعلم النفس، الطبعة الثالثة (1985)، لمؤلفه: محمد عثمان نجاتي، فلم يجد أنه ذكر الآية (18) من سورة الكهف، ضمن آيات القرآن التي أدرجها في مؤلفه، وحاول الباحث مطابقتها مع حقائق علم النفس كما تناوله علماء النفس في الجامعات الغربية.

تفسير القرآن للشباب (2007) وإحدى عشر تفسيرا قديمًا وحديثا. قامت مؤلفة هذا الكتاب (تفسير القرآن للشباب) بالاعتماد على (11) تفسيراً، منها تفاسير قديمة، وتفاسير حديثة، وهي كما يأتي: (1) مختصر تفسير ابن كثير، (2) مختصر تفسير الإمام الطبري، (3) تفسير القرآن للشيخ القرطبي، (4) تفسير الجلالين للشيخ جلال السيوطي، والشيخ جلال المحلي، (5) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب، (6) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين، (7) خواطر إيمانية للشيخ متولي الشعراوي، (8) صفوة التفاسير للشيخ علي الصابوني، (9) تفسير القرآن للشيخ محمد فريد وجدي، (10) كتاب خلاصة التفسير للشيخ محمد بكر إسماعيل، (11) كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي (الفلكي، 2007، ص. 481). وقامت الباحثة بعرض نص هذه الآية ضمن آيات القرآن الكريم في سورة الكهف، ولم تفسرها، بل ذكرتها فقط، في مكانها، وهي الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف.

يتبين من محاولات المفسرين، السابق عرضها، لهذا الجزء من الآية الكريمة (18) من سورة الكهف، أنهم تقريبًا جاؤوا بنفس المعاني والتأويلات، كأنهم ينقلون عن بعضهم البعض، ولم يهتد أحد منهم إلى تفسير آيات القرآن الكريم بمفاهيم علم النفس، ومدى تطابق ما جاء في هذه الآية مع حقائق علم النفس التي صارت مؤكدة من جميع علماء النفس، وهذا شيء وارد، لأن علم النفس وغيره من العلوم البشرية الأخرى لم تنتشر في زمان هؤلاء المفسرين ولم تتطور، إلا القليل منهم، وهذا ما سعى إليه الباحث في الدراسة الحالية، بصفته متخصصًا في علم النفس، في محاولة منه لتقديم تفسير لهذه الآية بمفاهيم علم النفس.

عرض نتيجة السؤال الثاني ومناقشتها

نص السؤال الثاني على: "ما موضوع علم النفس العلمي عند ظهوره في أواخر القرن التاسع عشر؟"

تفسير متخصص في علم النفس للجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف في القرن الحادي والعشرين

علم النفس في بداية ظهوره علمًا مستقلًا عن الفلسفة. لما أسند إليّ تدريس مقرر "مدخل علم النفس" بقسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا في جامعة الحاج لخضر، باتنة (الجزائر)، لمدة 8 سنوات، قمت بتوزيع مضمون المقرر على عدد من المحاضرات، أو الدروس، كنت أقوم بإلقائها على طلبة السنة الأولى في حصص أسبوعية. وفي المحاضرة المتعلقة بتاريخ موجز لعلم النفس وتطوره، تناولت الحديث عن إسهامات مدارس علم النفس في تطور علم النفس ونموه، وأول مدرسة ظهرت في تاريخ علم النفس هي المدرسة البنائية Structuralism. التي أسسها الألماني فلهلم فندت (W. Wundt 1832 - 1920) في عام 1879م، إثر أبحاثه في علم النفس في معمله التجريبي بجامعة مدينة لايبزغ Leipzig بألمانيا.

ورغم أني وجدت صعوبات في جمع المادة العلمية، عما كان يقوم به فندت في أبحاثه، نظرا لصعوبة حصولي على المراجع المتخصصة في هذا المجال، إلا أني استطعت، مع المثابرة والإصرار، أن أحصل على معلومة صغيرة من هنا، ومعلومة صغيرة أخرى من هناك، مع إعمال عقلي فيما أقرأ وأطالع، وثابرت في هذا الاتجاه، حتى جمعت قدراً لا بأس به من المعلومات جعلتني أستطيع فهم طبيعة العمل الذي كان فندت يقوم به في بحوثه التجريبية في علم النفس، ونتائج تلك البحوث.

ماذا كان فندت يبحث؟ كان فندت يبحث في الخبرة الشعورية المباشرة للفرد، التي جعلها موضوعا لعلم النفس، ويحللها، ليتعرف على عناصرها أو مكوناتها، التي تبنى منها، بعد تعرض الفرد، محل التجربة، للمثيرات، أو الأحداث الحسية. أي كان يبحث كيف يصف الفرد بلغته الخاصة خبرته الشعورية، بعد تعرضه لمثيرات حسية. مستعملا المنهج الاستبطاني (Wundt, 1974).

كيف كان فندت يبحث؟ كان فندت يدرّب أشخاصًا راشدين أسوياء، على طريقة إدلائهم بكلامهم حول ما يشعرون به، ويدركونه في خبراتهم الذاتية، بعد تعرضهم لمثيرات حسية معينة، ويقوم هو، بعد ذلك، بتحليل ذلك الكلام. وتصنيفه إلى مكوناته، وهي عناصر الخبرة الشعورية، كان يعرض على كل فرد منهم مثيرا حسيًا معينًا (مقطوعة موسيقية لموزارت، مثلا)، ثم يطلب منه أن يتحدث عنه مباشرة، مركزا انتباهه على شعوره وخبرته (استبطان) إزاء تلك المقطوعة الموسيقية.

ما نتائج بحوث فندت؟ بينت نتائج بحوث فندت، من هذه التجارب على مجموعة من الأفراد، كل على حدة، باستعمال منهج الاستبطان، أن هناك ثلاث عمليات نفسية أساسية، تتضمنها الخبرة الشعورية للفرد، وكعناصر لها، هي: المعرفة Cognition، والنزوع (الإرادة) Conation (Will)، والوجدان Affect.

كان فندت يقوم بتحليل كلام الفرد/المفحوص، فيتعرف على العمليات النفسية الثلاثة، كما يأتي:

- يلاحظ أن المفحوص يتحدث على معرفته بالمثير الذي تم تقديمه له في مجاله الحسي (مقطوعة موسيقية لموزارت). وهذه (معرفة)؛
- يلاحظ أن المفحوص (س) يعبر عن نزوعه (إرادته) بالإقبال على سماع الموسيقى (مقطوعة موسيقية لموزارت)، والمفحوص (ص) يعبر عن نزوعه (إرادته) بالإحجام عن سماعه لتلك المقطوعة الموسيقية. وهذا (نزوع/إرادة)؛
- ويلاحظ أن المفحوص (س) يعبر عن قبوله، وسعادته بسماعه لتلك الموسيقى (مقطوعة موسيقية لموزارت)، والمفحوص (ص) يعبر عن رفضه وضجره لسماعه لتلك الموسيقى. وهذا (وجدان).

طبيعة الخصائص النفسية البشرية الثلاثة

ولفهم طبيعة الخصائص النفسية البشرية الثلاثة، أي المعرفة، والنزوع/الإرادة، والوجدان، يتبين أن المعرفة خاصية ذات قطب واحد، أو ذات اتجاه واحد، فتبدأ من عدم وجودها (لا توجد معرفة لدى الشخص) ثم توجد لديه بمستويات متصاعدة إلى تمامها (معرفة كاملة). أما كل من النزوع/الإرادة، والوجدان، فهما خاصيتان ذات قطبين متضادين، أو ذات قطبين متناقضين؛ فالنزوع/الإرادة يتضمن الإقبال والمضاد له، أو نقيضه هو الإحجام، ويتضمن الوجدان القبول والمضاد له، أو نقيضه هو الرفض. ويعني التضاد، أو النقيض أن وجود أحد القطبين يعني غياب القطب الآخر، فعندما يكون الفرد مقبلًا، يكون إحجامه غائبا، والعكس صحيح، وعندما يشعر الفرد بالقبول، يكون شعوره بالرفض غائبًا، والعكس صحيح.

واستخلص فندت من تجاربه، كذلك، أن كل الخبرات الوجدانية الإنسانية، مثل: الفرح والحزن، والقلق والانشراح وغيرها، تحدث ضمن ثلاثة عناصر أساسية، يمكن وصف كل منها على أساس بُعْد مستقل ذي قطبين، هي: السرور مقابل الكدر، والشدة مقابل الاسترخاء، والإثارة مقابل الهدوء. وبناء على هذا، يمكن وصف أي خبرة وجدانية إنسانية، بأنها: سارة، أو مكدرة، تتسم بالشدة، أو بالاسترخاء، وبالاستثارة، أو بالهدوء (السيد وآخرون، 1990، ص. 59).

سلوك عامة الناس. في الحقيقة، فإن الذي استخلصه فندت من تجاربه على أفراد عينته، ما هو إلا السلوك نفسه، والكلام نفسه الذي يقوله أي فرد من الناس، عندما يعيش خبرة ذاتية مع مثير معين، دون أن يكون محل تجربة علمية.

وإليكم التوضيح فيما يأتي:

1. كأن يقول أحد الأفراد، مثلًا: أعرف الآن أني أقرأ آيات من القرآن الكريم (معرفة)، وأشعر بميل قوي إلى مواصلة قراءتها مدة طويلة (نزوع/إرادة)، لأني أشعر عند قراءتها بحلاوة الإيمان وبالاطمئنان وراحة البال (وجدان).
2. ويقول فرد آخر من الناس: أعرف الآن أني أتعرض لإساءة من جماعة من الناس (معرفة)، وأريد مغادرة هذه الجماعة حالًا والابتعاد عنها (نزوع/إرادة)؛ لأني كرهت أن أتواجد مع هذه الجماعة (وجدان).
3. وأنت تقرأ ما ورد في الدراسة الحالية، فتعرف مضمونها وموضوعها (هذه معرفة)، وتجد نفسك مندفعا بمواصلة قراءتها إلى نهايتها (إقدام)، أو تجد نفسك تتوقف عن الاستمرار في قراءتها (إحجام)، وهذا في الحالتين (نزوع/إرادة)، لأنك في الحالة الأولى (إقدام) تشعر بالرضا، والاستمتاع وأنت تقرؤها (وجدان)، أما في الحالة الثانية (إحجام) فإنك تشعر بعدم الرضا وعدم الاستمتاع بقراءتها (وجدان كذلك).

عرض نتيجة السؤال الثالث ومناقشتها

نص السؤال الثالث على:" ما تفسير علم النفس للجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؟"

تفسير الآية القرآنية الكريمة بمفاهيم علم النفس

نعود، مرة أخرى، إلى الآية القرآنية الكريمة: يقول الله تعالى: "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا"، سورة الكهف، الآية (18).

هناك اطلاع، وهناك فرار، وهناك رعب:

إن تفسير هذه الآية وفق النتائج التي اكتشفها فندت في بحوثه في علم النفس، وعلى أساس أن هناك آيات في القرآن الكريم تتوفر على إشارات نفسية، يتبين أن العمليات النفسية الثلاثة التي قال بها فندت، وفق نظريته البنائية، أو وفق تحليله للخبرة الشعورية؛ وهي: المعرفة، والنزوع/الإرادة، والوجدان، عبّرت عنها هذه الآية القرآنية الكريمة مباشرة في ثلاث جمل فعلية تامة صريحة وشاملة، كما يأتي:

- "لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ" (معرفة)؛
- "لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا" (نزوع/إرادة)؛

- "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا" (وجدان).

وفي تعقيب على هذا التفسير بلغة علم النفس لجزء من آية قرآنية، فإنه نتيجة لتقدم العلوم المختلفة، التي أنتجها العقل البشري، منذ قرون، وأزمنة متتابعة، أصبح من الممكن جداً، ظهور فهم جديد للكثير من آيات القرآن، وتفسيرها علميًا، فيظهر بذلك فرق كبير بين تفسير القرون الوسطى، وما بعدها، لهذه الآية الكريمة، وتفسيرها بمفاهيم علم النفس، كما ورد في الدراسة الحالية، فالمفسرون في القرون الوسطى لا يتوفرون على معلومات علمية، أيًا كان تخصصها، كما مر بنا في مقدمة الدراسة الحالية، ليدعموا بها تفسيرهم للآيات القرآنية، بل يعتمدون على المعاني اللغوية للكلمات، من ناحية، ومن ناحية أخرى، يدعمون تفسيرهم للآيات القرآنية بما ورد في الأحاديث النبوية، وما قاله الصحابة، والتابعون، والعلماء الذين عاشوا قبلهم، وهو تفسير في معظمه ذو طابع ديني، سواء في العقيدة، أم في العبادات، وفي المعاملات، وفي الشريعة وغيرها، ولكن تقدم العلوم في القرون الأخيرة، في المجالات المختلفة، واستعمال نتائجها لفهم معاني الآيات القرآنية، سوف يُحْدِث تغييراً كبيراً في فهم القرآن وتفسير آياته، مقارنة بتفسير المفسرين للقرآن في العصور القديمة.

شرح معنى الآية القرآنية الكريمة لفظيا

إن شرح الآية، بلغة بسيطة: هو أن الله سبحانه وتعالى، يقول: يا محمد، لو رأيتهم (أي فتية الكهف) وتعرفت على أحوالهم، وهم رقود، لوليت فاراً منهم وهاربًا، ولأصابك من ذلك رعب (أي الخوف، والفزع الشديدين)، وشعرت كأن الرعب يملأك كلك من شدة وقعه.

دور الأجهزة الفزيولوجية في تفسير العمليات النفسية الثلاثة وترتيبها

يبين علم وظائف الأعضاء (الفزيولوجيا)، أنه عادة ما تسبق، أو تصاحب، استجابةَ الفردِ سواء كانت عقلية، أم بدنية، أم وجدانية، تغيراتٌ فيزيولوجية، وبدنية؛ في الجهاز العصبي السمبتاوي (اللاإرادي)، والدورة الدموية، ونشاط القلب، ونشاط عملية التنفس، لتزويد المخ بالأكسجين، والعضلات البدنية من أجل الهرب، أو للدفاع عن النفس، إذا كان هناك خطر، ولهذا جاء ترتيب العناصر الثلاثة، للآية، كما يأتي: الاطلاع أي المعرفة، ثم الفرار وهو النشاط البدني الذي يعبر عن النزوع/الإرادة، وأخيراً، الرعب، الذي يعبر عن الوجدان، ووفق هذا الترتيب، فإن الرعب، أي الوجدان، لم يحصل بسبب التعرف على حالة فتية الكهف، وهم رقود، بل بسبب التغيرات الفزيولوجية التي حدثت في البدن، وأحس الفرد بها.

ترتيب العمليات النفسية الثلاثة بين نظرة علم النفس الكلاسيكية وما جاء في القرآن الكريم. بالنسبة لترتيب العمليات النفسية الثلاثة، نلاحظ أن القرآن الكريم رتبها كما يأتي: معرفة، نزوع/إرادة، وجدان. أما ترتيبها لدى علماء النفس في زمن ما، كانوا يتصورونها كما يأتي: معرفة، وجدان، نزوع/إرادة.

وفيما يأتي مثال: "سلوك الخوف" لنقارن من خلاله بين نظرة علم النفس الكلاسيكية، وما جاء في القرآن الكريم فيما يتعلق بترتيب العمليات النفسية الثلاثة:

1) كانت وجهة نظرة علم النفس الكلاسيكية إزاء مكوّنات الانفعال، كما يأتي: أن الكائن يتعرف أولاً على مثير الانفعال، وثانيا يخبره وجدانيا، ثم ثالثًا تتبعه التغيرات البدنية بعد ذلك، وهي: النزوع/الإرادة.

مثلا، لو أن طفلًا صغيراً، ممن يقطنون المدن، شاهد حيوانًا (وهو مثير غير مألوف لديه، فأدركه كمصدر تهديد له)، فخاف منه، فإن ترتيب مسار العمليات النفسية الثلاثـة لدى هذا الطفل، يكون كما يأتي: طفل شاهد حيوانًا أدركه كتهديد (معرفة)، شعر بالخوف منه (وجدان)، جسمه يتهيأ للهرب (نزوع/ إرادة).

2) في عام 1885، ظهرت نظرية جيمس ـ لانج في الانفعال، التي قال بها، في نفس الوقت، عالمان كل منهما مستقل عن الآخر، هما: الدانماركي، كارل جورج لانج (Lange, 1885)، والأمريكي، وليام جيمس (James, 1884). ووفق هذه النظرية، يكون ترتيب مسار العمليات النفسية الثلاثة، كما يأتي: طفل شاهد حيوانًا مهدداً (معرفة)، جسمه يتهيأ للهرب (نزوع/ إرادة)، شعر بالخوف (وجدان). إن الاستجابات البدنية تسبق الشعور بالخوف، وتكون سببا له.

ومر بنا، قبل قليل، أن الجزء من الآية القرآنية رتب مسار العمليات النفسية الثلاثة كما يأتي: "لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ". أي لو شاهدتهم يا محمد وعرفت حالاتهم. "لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا". أي لهربت منهم، وهي استجابة بدنية. "وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا". أي لشعرت شعوراً قويًا بالرعب. بدأت العمليات النفسية الثلاثة في الآية القرآنية، بالإدراك لمصدر الانفعال (معرفة)، فحدثت الاستجابات الحشوية، والجسمية (نزوع/ إرادة)، والذي يصل منها إلى المخ تترتب عليه الخبرات الانفعالية (الخوف، مثلا) (وجدان). وما الذي حصل بعد ذلك في بعض الممارسات العملية في علم النفس، كالعلاج السلوكي، مثلا، وفق ترتيب العمليات النفسية الثلاثة في القرآن الكريم، ولدى جيمس – لانج James – Lange (1884، 1885).

في العلاج السلوكي للخوف، والقلق، بطريقة التدرج في إزالة الحساسية، يركز المعالج، في أسلوب العلاج السلوكي عن طريق الكف بالنقيض (الذي أبدعه الطبيب النفسي الجنوب إفريقي/ جوزيف وولب J. Wolpe، في عام 1958)، على خفض حساسية الفرد إزاء المثير الذي يخيفه، وذلك بجعله يسترخي بدنيًا. أي أن الاستجابات الحشوية البدنية، التي تحدث بفعل الاسترخاء، تسبق عملية خفض انفعال الخوف والقلق.

هناك فرق آخر فيما يتعلق بترتيب العمليات النفسية الثلاثة بين نظرة علماء النفس، والقرآن الكريم. إن ترتيبها لدى علماء النفس جاء خطيًا، هكذا:

معرفة ← نزوع/إرادة ← وجدان.

فالتأثير يسير خطيًا ومتتابعًا من العملية الأولى إلى الثانية ثم الثالثة.

أما في القرآن الكريم، فإن ترتيب المعرفة، والنزوع/الإرادة، والوجدان جاء متتابعًا هكذا في نص الآية القرآنية، إلا أن كلًا من الفرار (النزوع/الإرادة) والشعور بالرعب (الوجدان)، حصلا بسبب الاطلاع (معرفة) على حالة فتية الكهف، وهم رقود، لأن الآية القرآنية تقول: لوليت (منهم) فرارا، ولملئت (منهم) رعبًا، فقد تكررت كلمة (منهم) وسبقت كلًا من سلوك الفرار، والاستجابة الانفعالية بالرعب (أي الخوف، والفزع الشديدين)؛ ولذا يمكن التعبير عنها كما في الشكل الآتي:

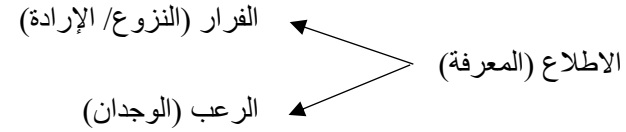

مضمون الآية القرآنية الكريمة ومكونات النفس البشريه. بينت الاية القرانية الكريمة، كذلك، بوضوح لا جدال فيه، أن مكونات النفس البشرية، وأبعادها ثلاثة، فكل فرد من البشر، يتكون من الناحية النفسية من: (1) معرفة، (2) ونزوع/إرادة، (3) ووجدان. التي تتفاعل فيما بينها مكونة شخصيته، وسلوكه، واتجاهاته، وتصرفاته كلها، وفي حياته كلها، في سوائه وفي مرضه. فكل إنسان يصدر منه تصرف معين، وأي تصرف، يمكن تحليله إلى العمليات النفسية الثلاثة (معرفة، نزوع/إرادة، وجدان).

مضمون الآية القرآنية وموضوعات تخصص علم النفس. الحقيقة، أن العمليات النفسية الثلاثة التي تضمنتها الآية القرآنية الكريمة، واكتشفها فندت، بعد ذلك، من خلال بحوثه في الخبرة الشعورية، كما أوضحتُ ذلك، وهي: (المعرفة، والنزوع/الإرادة، والوجدان)، تشمل موضوعات تخصص علم النفس كلها، منذ نشأته إلى اليوم، وهي كل ما يبحثه علماء النفس في كل جامعات العالم، ولا يبحثون أبدًا عمليات أخرى غيرها. فجميع الموضوعات التي يتولى علماء النفس البحث فيها، والتأليف فيها، والاختصاص فيها، لا تخرج ولا تحيد عن هذه العمليات النفسية الثلاثة، وفيما يأتي موضوعات تخصص علم النفس، كما هو عليه حاليا:

- العمليات المعرفية، من انتباه، وإدراك، وذاكرة، وتذكر، وتفكير، وتخيل، وتصور، واتخاذ القرار، وإصدار الأحكام وغيرها من العمليات المعرفية، أو العقلية؛
- العمليات الوجدانية والانفعالية، من لذة وألم، وفرح وحزن، وحب، وكره، ورضا، وسخط، وقبول، ورفض، وسعادة، واكتئاب، وقلق، وهدوء، وتفاؤل، وتشاؤم وغيرها؛
- العمليات النزوعية/ أو الإرادية، من إقبال، وإحجام، والتزام، وتخل، وقوة إرادة، وضعفها، ودافعية وخمول، ومثابرة، وكسل، وطموح، ورضا بالقليل وغيرها؛
- العمليات النفسية الاجتماعية، من طاعة، وتقديم مساعدة، وتسلط، وتعصب، وتسامح، وقيادة، وقيم، واتجاهات، ومجاراة، وتعاون، وإعجاب، وحب وغيرها؛
- وإضافة إلى ذلك، هناك العمليات المزاجية المتعلقة بالشخصية، وأنماطها، وسماتها، من انطواء، وانبساط، وسيطرة، وخضوع، سواء في حالة السواء، أم في حالة اللاسواء؛
- إن كل هذه الموضوعات، التي تمثل جوهر علم النفس، كما ظهر، ونما، وتطور في جامعات الغرب، منضوية كلها تحت غطاء العمليات النفسية الثلاثة (المعرفة، النزوع/الإرادة، الوجدان)، ولا توجد عمليات أخرى غيرها.

عرض نتيجة السؤال الرابع ومناقشتها

نص السؤال الرابع على: "ما مفهوم الرعب في الجزء الأخير من الآية (18) من سورة الكهف؟"

طبيعتا "الرُّعْب" و"الخوف" والفرق بينهما كما وردا في القرآن الكريم

وردت كلمة الرعب في القرآن الكريم في خمس آيات، وهي كما يأتي:

يقول الله تعالى: "سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ"، سورة آل عمران، الآية (151).

ويقول الله تعالى: "سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ"، سورة الأنفال، الآية (12).

ويقول الله تعالى: "لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا"، سورة الكهف، الآية (18). ويقول الله تعالى: "وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا"، سورة

الأحزاب، الآية (26). ويقول الله تعالى: "فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ"، سورة الحشر، الآية (2).

يتبين من مضمون الآيات الخمسة السابقة، أن الرعب، وهو أقوى تأثيراً في حالة الفرد وجدانيًا من الخوف، يكون على ثلاث حالات، وهي:

الأولى، أنه يأتي من الخارج، حيث قال الله تعالى: "سَنُلۡقِي"، "سَأُلۡقِي"، "وَقَذَفَ"، "وَقَذَفَ".

الثانية، أن إلقاء وقذف الرعب يكون في القلب. "سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ"، "سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ"، "وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ"، "وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ".

والثالثة، أن الرعب لما يتم إلقاؤه، أو قذفه، ويصيب القلب، ويتمكن منه، يملأ الجهاز النفسي للفرد كله، وأعضاءه البدنية كلها "وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا"، حتى أنه يصبح لا يميز ما يقوم به من تصرفات، ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولا يدري المرعب ما يفعل، راجعوا الآيات القرآنية سابقة الذكر، وخاصة في سورة الأنفال التي تتحدث الآية (12) فيها على غزوة بدر، وفي سورة الأحزاب التي تتحدث الآية (26) فيها عن يهود بني قريظة، وفي سورة الحشر التي تتحدث الآية (2) فيها عن يهود بني النضير.

أما كلمة الخوف فقد وردت في القرآن الكريم، 124 مرة (عبد الباقي، 1996، صص. 302 - 305)، بصيغ لغوية مختلفة. منها ما يأتي: يقول الله تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ"، سورة البقرة، الآية (155). ويقول الله تعالى: "وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ"، سورة الرعد، الآية (21). ويقول الله تعالى: "إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى"، سورة طه. الآية (45).

والفرق بين الخوف والرعب، أن الخوف هو مجرد تخويف من شيء سيء يقع في المستقبل ولم يحدث بعد، أي أنه يتعلق بمحاذير لم تتحقق، وتشعر الفرد بأن لها شرط تحققها أو مهلة لوقت يأتي في المستقبل، ويمكن للفرد تجنب تلك المحاذير، أو الاستعداد لها، ولا تتوفر على ذلك الهلع النفسي الذي يفقد الإنسان القدرة على التصرف، كما يحدث في الرعب. أما الرعب فهو بأس وشيء سيء واقع بالفعل. وبما أن الآية القرآنية رقم (18) من سورة الكهف، عبرت عن الرعب بأنه يملأ جسد الفرد أو أعصابه، فإن المقصود به هنا بمفاهيم علم النفس هو: الصدمة النفسية الشديدة، لأنها هي التي يحيط تأثيرها الشديد بالفرد داخليا وخارجيا، فيتعطل عقله عن إدراك كل شيء في نفسه وفي البيئة حوله، فلا يستوعب ما حدث، ولا يحسن التصرف لصده.

دور الفلاسفة المسلمين في التفسير النفسي لآيات القرآن الكريم

ولو انتبه الفلاسفة المسلمون، مثلما فعل إخوان الصفا، إلى هذه الآية القصيرة في عدد كلماتها، والقوية في شمولها، والعظيمة في معانيها، لكان لهم فضل السبق، والإبداع في علم النفس، قبل علماء النفس في الغرب.

لأن إخوان الصفا (في القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي)، كان لهم السبق على الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (J. Locke, 1632 - 1704) في قولهم إن المعرفة حسية، ومكتسبة، وليست فطرية، طبقًا لقول الله تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"، سورة النحل، الآية (78). أي أن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء وفارغة لا خبرات فيها ولا معلومات، ثم يكتسب الخبرات، والمعلومات (المعرفة)، بعد ذلك، عن طريق الحواس (السمع والبصر)، ثم تسجل في العقل وتخزن فيه (الأفئدة).

سلوك الباحثين العلميين

وفي مجال البحث العلمي، يتضح مما سبق، أن العلماء يلاحظون السلوك والوقائع والظواهر في الواقع الحسي، بصورة تلقائية، مثلهم في ذلك مثل عامة الناس، دون ضبط لعوامل، وظروف ذلك الواقع الحسي، الذي يحدث فيه السلوك، والوقائع والظواهر، ولكن عندما يشرعون في بحث ذلك السلوك، وتلك الوقائع، والظواهر، تجريبيًا، فإنهم يقومون، عندئذ، بضبط عوامل، وظروف الواقع (الضبط التجريبي). ويقوم التجريب في البحث العلمي، على اعتقاد مفاده، أن ما يحدث في التجارب، هو نفسه ما يحدث في الواقع، لو يتم ضبط العوامل، والظروف في الواقع، كما يحدث في التجارب. ويعرّف التجريب بأنه: "تغيير متعمد ومضبوط للشروط المحددة لحدث ما، مع ملاحظة التغيرات الواقعة في نفس الحدث وتفسيرها" (محمود، 2007، ص. 131). وهذا بالضبط، ما قام به فندت، وغيره من المجربين، سواء في علم النفس، أم في غيره من العلوم.

نَشْرُ التفسير الذي اهتديت إليه

في الحقيقة، أنا لست مفسراً للقرآن الكريم، ولكن التعليم الذي تلقيته في المرحلة المتوسطة وفي المرحلة الثانوية، اشتمل على كثير من الدروس، والمقررات الدينية؛ كالتوحيد وأصول الدين، والفقه، وتفسير القرآن، والحديث النبوي، والسيرة النبوية فكانت هذه المقررات خلفية علمية لا بأس بها فيما يتعلق بالمعلومات الدينية في الدين الإسلامي، وبصفتي، كذلك، متعلمًا تعليمًا عاليًا، وفي تخصص من العلوم الإنسانية، فإني عندما أقرأ القرآن، أتدبر آياته وأمعن فيها النظر والعقل، عسى أن أجد فيها بعض الإشارات النفسية، كما قال بها علم النفس الغربي، وحدث أن تركز انتباهي على هذه الآية في سنة

2015، وبعد أن أعملت فيها تفكيري جيداً، وتدبرتها من خلال جمع معلومات من قراءاتي المختلفة، وإعمال العقل فيها، قمت بالكتابة عنها، باختصار، في مقدمة مقال بعنوان: "منهج بحث الفرد الواحد وتصميماته التجريبية للباحثين والمعالجين والمرشدين النفسيين". ونُشر المقال في مجلة نفسانيات، العدد 62 عام 2019، التي تصدرها مؤسسة علوم النفس العربية Arabpsynet.

خلاصة

هل وُفّقت في هذا التفسير؟

اللهم إني أسألك التوفيق من عندك. يقول الله تعالى: "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ"، سورة يوسف، الآية (76) "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"، الإسراء، الآية (85) "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"، سورة طه، الآية (114).

توصيات الدراسة

من خلال الخلفية النظرية التي تم عرضها، والنتائج التي تم التوصل إليها ومناقشتها يوصي الباحث بالآتي:

- يقول الله تعالى في سورة الأنعام: "مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ"، الآية رقم (38). وهنا ينبغي مواصلة البحث في مجال تفسير آيات القرآن الكريم بمفاهيم العلم الذي انتجه العقل البشري في مجالاته وتخصصاته المختلفة، من أجل تثبيت الحقائق العلمية وترسيخها، فالحقائق العلمية التي وردت في آيات القرآن الكريم أصدق وأسبق مما اكتشفه العقل البشري بمناهجه البحثية؛

- هناك فيما أعلم إسهامات عديدة في مجال إعجاز القرآن الكريم في علوم الفلك وفي العلوم الطبيعية عموما والطبية والعددية وغيرها، ولكن هناك النادر جدا من هذه الإسهامات في مجال العلوم الاجتماعية عامة وفي علم النفس خاصة؛

- ينبغي تحفيز البحث في مجال تفسير آيات القرآن الكريم وممارسته من قبل باحثين ذوي كفاءة في القدرات العقلية وفي اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وفي علم النفس ومعلوماته التي تم التحقق منها علميا.

مقترحات الدراسة

من خلال العرض السابق للخلفية النظرية والإجابة على تساؤلات الدراسة يقترح الباحث عدد من الأبحاث المستقبلية وعلى النحو الآتي:

- تفسير الآية رقم (31) من سورة البقرة، "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"، لتبيان أهمية الأسماء ودورها في لغة البشر فكريا ونفسيا واجتماعيا.

- إن ما هو متداول في كتب تفسير القرآن الكريم، أن الآيات القرآنية في سورة البقرة (من الآية رقم 67 إلى الآية رقم 71)، تعبر عن لجج بني إسرائيل ومراجعتهم لنبي الله موسى عليه السلام وعصيانهم له، لما طلب منهم أن يذبحوا بقرة، ولكن يمكن تفسيرها بمفاهيم أخرى فيما يُعرف في علم المنطق "بالمفهوم والماصدق".

- تفسير للآية رقم (4) من سورة قريش: "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ". بمفاهيم الحاجات الإنسانية الأساسية التي وضعها عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو Abraham Maslaw (1954).

- وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تمجد القلة وتذم الكثرة، وتحدثت على أن الإيمان والشكر والصلاح، يقوم به القليل من الناس.

أولا: ففيما يتعلق بالقلة، ورد ذكرها في عدد من آيات القرآن الكريم؛ يقول الله تعالى: "وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"، سورة سبأ، الآية (13). ويقول الله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ"، سورة البقرة، الآية (83). ويقول الله تعالى: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ"، البقرة، الآية (88). ويقول الله تعالى: "فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"، سورة البقرة، الآية (246). ويقول الله تعالى: "فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ"، سورة البقرة، الآية (149). ويقول الله تعالى: "كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"، سورة البقرة: الآية (249). ويقول الله تعالى: "وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا"، سورة النساء، الآية (46). ويقول الله تعالى: "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنَّ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ"، سورة النساء، الآية (66). ويقول الله تعالى: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا"، سورة النساء: الآية (88). ويقول الله تعالى: "يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا"، سورة النساء: الآية (142). ويقول الله تعالى: "بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا"، سور ة النساء: الآية (155). ويقول الله تعالى: "إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ"، سورة هود، الآية (40).

ثانيا: أما فيما يتعلق بالصلاح والقلة، فيقول الله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ"، سورة ص، الآية (24).

وفي مقابل ذلك، وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذم الكثرة. وتصفهم بالكافرين، يقول الله تعالى: "يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ"، سورة النحل، الآية (83). وتصفهم بغير الشاكرين، يقول الله تعالى: "وَإِنَّ رَبَّكَ

لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ"، سورة النمل، الآية (73). ويقول الله تعالى: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ"، الأعراف، الآية (10). وتصفهم بغير المؤمنين، يقول الله تعالى: "إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ"، سورة هود، الآية (17). وتصفهم بالفاسقين، يقول الله تعالى: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ"، سورة المائدة، الآية (49). وتصفهم بالذين لا يعقلون، يقول الله تعالى: "وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"، سورة المائدة، الآية (103). وتصفهم بالذين لا يعلمون. يقول الله تعالى: "قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"، سورة النحل، الآية (101).

ما حكمة الله في أن جعل الإيمان الصادق والشكر والصلاح في القلة من البشر، وجعل الكفر والفسق وقلة الشكر وقلة العلم ونقص العقل في الكثرة منهم؟ وفي السياق نفسه، نلاحظ أن المتفوقين في مجالات مختلفة في الحياة؛ في العلم وفي الاقتصاد وفي السياسة وفي الحكم وفي التأثير على الآخرين عموما يمثلون القلة في المجتمع. فالقلة هي التي تقود الكثرة، هل التفوق صعب، لا يؤتى إلا لأولي القوة والعزم؟ وماذا لو انعكست الظاهرة، وصار المتفوقون هم الكثرة في المجتمع، والعاديون والفاشلون هم القلة؟ وصارت الكثرة هي التي تقود القلة، هل تكون حياة الناس أفضل مما هي عليه؟ ما رأي علماء النفس الاجتماعي ونظريات القيادة؟

المراجع

ابن عاشور، م. ا. (1984). *تفسير التحرير والتنوير* (ج. 15). الدار التونسية للنشر.

ابن كثير، إ. ع. (1980). *تفسير ابن كثير* (ط. 2). دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

إسلام ويب. (2006، 27 فبراير). *تفسير (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً)* (فتوى رقم 72063). مركز الفتوى. https://www.islamweb.net/ar/fatwa/72063/

الألوسي، م. (1994). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (ط. 1). دار الكتب العلمية.

البغوي، ح. م. (1990). *تفسير البغوي: معالم التنزيل* (مج. 5). دار طيبة للنشر والتوزيع.

الذهبي، م. ح. (د. ت). *التفسير والمفسرون* (ج. 2). مكتبة وهبة.

الرومي، ف. ب. ع. ا. ب. س. (1998). *بحوث في أصول التفسير ومناهجه* (ط. 4). مكتبة التوبة.

الزركشي، ب. ا. م. ب. ع. ا. (1990). *البرهان في علوم القرآن* (ي. ع. ا. المرعشلي، ج. ح. الذهبي، & إ. ع. ا. الكردي، محققون; ج. 2). دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

سعادة، ج. أ.، اليوسف، ج. ي. (1988). *تدريس المفاهيم: اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية* (ط. 1). دار الجيل.

سعد، ي. (2021، 26 فبراير). المنهج الوصفي التحليلي في البحث العلمي. شركة دراسة لخدمات البحث العلمي. https://drasah.com/Description.aspx?id=3777

السعدي، ع. ا. ب. ن. (2002). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (ع. ا. ب. م. اللويحق، محقق; ط 1). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

السيد، ع. ا. م.، الصبوة، م. ن.، يوسف، ج. س.، خليفة، ع. ا. م.، عبد الله، م. س.، & الغباشي، س. ف. (1990). *علم النفس العام* (ط. 3). مكتبة غريب.

السيوطي، ا. ج. ا. (د. ت). *الإتقان في علوم القرآن* (م. أ. ا. إبراهيم، محقق; مج. 4). وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الصالح، ص. (1981). *مباحث في علوم القرآن*. دار العلم للملايين.

الطبري، م. ب. ج. (2016). *تفسير الطبري: تفسير الصفحة رقم 295 من المصحف*. موقع سورة قرآن. https://surahquran.com/tafsir-tabari/295.html

عبد الباقي، م. ف. (1996). *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* (ط. 1). دار الحديث.

العراقي، س. م. (1990). الأبعاد التربوية لمفهوم الإنسان في القرآن الكريم. *دراسات تربوية، 5*(23)، 45–78. القاهرة: رابطة التربية الحديثة.

الفلكي، ف. (2007). *تفسير القرآن للشباب*. مكتبة الصفا.

قاموس المعاني. (د.ت.). الرعب. في *معجم المعاني الجامع: قاموس عربي عربي*. استرجع في 26 نونبر، 2025، من https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/الرعب/

القرطبي، م. أ. (1967). *الجامع لأحكام القرآن*. 5. (ط. 3، ج. 9). دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

المباركفوري، ص. ا. (1976). *الرحيق المختوم*. دار إحياء التراث العربي.

محمود، ج. ش. (2007). *البحث العلمي في العلوم السلوكية*. مكتبة الأنجلو المصرية.

المسلم، و. (2006، 24 يونيو). *الآية والسورة لغة واصطلاحا*. منتديات حراس العقيدة https://www.hurras.org/vb/node/503

DeCecco, J. P. (1968). *The psychology of learning and instruction: Educational psychology*. Prentice-Hall.

James, W. (1884). What is an emotion? *Mind, 9*(34), 188-205. http://dx.doi.org/10.1093/mind/os-IX.34.188

Lange, C. G. (1922). *The emotions*. William & Wilkins.

Locke, J. (1975). *An essay concerning human understanding* (P. H. Nidditch, Ed.). Oxford University Press. (Original work published 1690)

Maslow, A. H. (1954). *Motivation and personality*. Harper & Brothers.

Wundt, W. (1904). *Principles of physiological psychology* (E. B. Titchener, Trans.). Macmillan. (Original work published 1874)